طلقة (١٦)

كل شيء بحساب

اليوم ... يوم الملحمة !

كان كل شيء في صبيحة يوم السادس من أكتوبر كما خططنا له كنت أشعر بالارتياح وسلمنا أمرنا لله سبحانه وتعالى بعد أن قمنا بواجبنا البشري بأقصى ما كنا نستطيع.

هذه هي كلمات الفريق الشاذلي عن اللحظات القليلة قبل الحرب.. وقد طاف على القوات وعند نقطة مراقبة خاصة للجيش الثالث في الإسماعيلية كانت المسافة بينه وبين العدو ١٨٠ مترا هي عرض قناة السويس امسك بنظارة مقربة ورأى أن الحركة الجانب الأخر عادية تماما.. علم الجنود بميعاد الحرب قبلها بساعات وقد تم إعادة التكليفات عليهم ومع ذلك كان الشعور بالقلق حاضرا رغم الثقة واليقين بان نصر الله آت.

والقلق الايجابي الذي يدفع المرء للمزيد من الإجادة والجهد لا انكر انني فكرت ليلة ٦ أكتوبر في سيناريو لجميع الاحتمالات.. لكن سيناريو النصر كان الأعلى صوتا في داخلي.. والحمد لله صدق هذا التوقع وجاءت الخسائر مع الانطلاقة الأولى بأقل كثيرا مما توقعناها.

الآن أتحدث إليكم من قيادة العمليات أو المركز رقم ١٠ هي غرفة فيها طاولة كبيرة مساحتها حوالي ٩٠ مترا عليها ٣ مقاعد رئيسية يجلس عليها رئيس الجمهورية وعلى يمينه القائد العام وزير الحربية وعلى يساره رئيس الأركان وهناك طاولة أخرى على حرف L يجلس عليها رئيس هيئة العمليات وهناك طاولة عليها خرائط وعليها الخطة وفي المواجهة شاشة توضح حركة الطيران المصري.. وطيران العدو وحول الغرفة الرئيسية للعمليات عدة غرف يوجد ضباط لهم اتصالات مباشرة بقادة الجيوش وبكل أجهزة القيادة العامة بحيث أن كل شيء يحدث يتم تبليغه.. باختصار غرفة العمليات هي مركز متصل بجميع قيادات وأفرع الجيش ولان الخطة كانت واضحة ومتفقا عليها لم تصدر عن غرفة العمليات طوال الـ٢٤ ساعة أي أوامر.. كما لو كنا في طابور تدريب تكتيكي بفضل التخطيط التفصيلي بجدول زمني محدد كانت

الأوامر تمضي من الأعلى إلى الذي يليه ثم الذي يليه حتى أصغر جندي وكل إنسان يلعب دوره بإتقان تماما مثل الاوركسترا والعزف متناغم تماما.. كنا نتوقع أن نزيل الساتر الترابي في فترة زمنية من ٧:٥ ساعات وتمت قبل ذلك ونشر الكباري في زمن ٨:٦ ساعات وحدث في زمن اقل.. عند الثانية وخمس دقائق انطلقت الطائرات مع المدفعية والمشاة وسلاح المهندسين كل في توقيته...

ويؤكد الشاذلي أن مسألة بناء الكباري هي اشد ما كان يقلقه.. لكن بعد نصبها سوف يتغير الوضع لان ذلك معناه التعرض للهجوم المضاد.. وحقيقة خط بارليف انه يمثل شبكة دفاع إسرائيلية بعمق ٢٠ كيلو لكن في حقيقة الأمر هو مجموعة خطوط متتابعة الخط الأول ملاصق للقناة مباشرة وخلف هذا الخط بحوالي ٨:٥ كيلومتر سنجد الخط التالي سنجد به ١٢٠ دبابة موزعة في نقاط عديدة بمعدل ٤٠ دبابة في كل نقطة وخلف هذا الخط سنجد المحور الثالث وبه ٨٠ دبابة أي أن بارليف مجموعة خطوط متتالية.. وأنت اذا اقتحمت الخط الأول قابلك الثاني وهكذا مع ملاحظة أن الخط الثاني سوف يتقدم نحو الأول عند هجومه وأضف ذلك أن عدد حصون بارليف كانت ٣٥ حصنا على مساحة ١٦٠ كيلو متر.. موزعة على فراغات فيها دبابات.

إلى الجبهة

في يوم ٨ أكتوبر انتقل الشاذلي إلى الجبهة ووجد فرحة عارمة بين الجنود والضباط بما تحقق وقد عادت الثقة إلى الجميع وأحاط الجميع بالشاذلي يهتفون باسم التوجيه ٤١ أو الخطة التي تم بها العبور ومع ذلك لم تكن الجبهة قد استقرت بعد الآن وبعض الحصون كانت ماتزال لم تسقط بعد وكانت الخطة التي تم تنفيذها على أرض الواقع هي المآذن العالية.

لكن مع الوصول إلى يوم ١٣ أكتوبر بدأت الأصوات ترتفع بتطوير الهجوم لتخفيف الهجوم على الجبهة السورية.

وهنا يعود الشاذلي بالذاكرة إلى مقر الجامعة العربية وتحديدا في نوفمبر ١٩٧١ حيث كان يقود اجتماع مجلس الدفاع العربي المشترك الذي يتكون من وزراء الدفاع ووزراء الخارجية في الدول العربية وحضره الشاذلي بصفته رئيس الأركان وسكرتير المجلس الذي عرض عليهم الخطط العسكرية وأمامهم جميعا قال: ليكن معلوما لدى الجميع نظرا للوضع المركزي الذي تتمتع به إسرائيل ونظرا لتفوقها الساحق في الطيران فلا الجبهة المصرية تستطيع أن تخفف الضغط عن السورية أو العكس فيما لو حدث وركز العدو على احدى الجبهتين.. لذلك أطالب بان تكون كل جهة لها القدرة على الصد.. وهو يختلف عن الهجوم.. فعملية الصد معناها انك تمنعه من القصف أي أن رأيي معروف مسبقا قبل أن تحدث الثغرة بعامين وقلت هذا في اجتماع رسمي موثق.. أي أن مسألة تطوير الهجوم محسومة قبلها تماما وكان وزراء الخارجية في غاية الاقتناع وفي عام ٧٣ كنت واثقا من قدرة الجبهة المصرية على صد الهجوم.. لكني بالنسبة للجبهة السورية لم أكن كذلك وقلت لهم يجب تدعيم الجانب السوري بكذا وكذا بمعلومات عملية ثابتة.. وقد نجحت الخطة في مرحلتها الأولى بشكل باهر.. وكان في تصوري أن تثبت الوضع لمدة ستة أشهر كانت كفيلة بان يأتي العدو راكعا أمامنا لأسباب ذكرتها من قبل منها عدم قدرته البشرية على الحرب الطويلة وكنت أشبه ذلك بسقوط إسرائيل مثل الثمرة العفنة من الشجرة!

صاحب الفكرة

هل كان السادات هو صاحب فكرة تطوير الهجوم؟!.... الشاذلي يؤكد أن المشير احمد إسماعيل هو الذي طرحها صبيحة يوم ١٢اكتوبر وناقشته بكل موضوعية كما ذكرت من قبل ونقطة الضعف هي القوات الجوية.

لقد نجحت في أكتوبر لان الخطة واقعية في حدود قوتي وبالتالي كان تطوير الهجوم أن أعطى الفرصة للعدو أن يدمرني مع استحالة نقل معدات الدفاع 'لجوي إلى الشاطئ الغربي حتى يمكن أن تمتد مظلة الحماية لأكثر من ١٢ كيلو متر..

لأنها أسلحة ثقيلة مثبتة على مواقع خرسانة مع وجود معدات دفاع جوى متحركة على شاسيه الدبابة لكن التفوق سيكون للطيران حتما.

كان مقررا في يوم ١٠ أن يتحرك اللواء الأول مشاه من منطقة الجيش الثالث بعد أخر ضوء ناحية الجنوب حيث يكون تأثير الطيران ضعيفا ومهمته أن يحتل الساتر.. فقام قائد اللواء بمبادرة منه فتحرك قبل الغروب بساعتين عن الموعد المحدد ورصده العدو وانهال ضربا عليه وكانت النتيجة تشتيت قوة اللواء.. الا اننا امتلكنا تجربة عملية لمحاولة الخروج عن مظلة الدفاع الجوي ومع ذلك كلمني احمد إسماعيل طالبا تطوير الهجوم واعدت عليه ما قلته وزدت على ذلك الدرس الذي حدث للواء المشاة.. وصمت إسماعيل لفترة ظننت فيها انه اقتنع بكلامي لكنه بعد ساعات كرر طلبه مؤكدا انه تطوير الهجوم قرار سياسي ولكم أن يتصور العقلاء كيف يكون حالي وأنا اصرخ في البرية بالأدلة والبراهين.

وكان أمامي خياران أحلاهما مر. إما أن أنفذ القرار السياسي بتطوير الهجوم.. وأما الاقتناع او الاستقالة.. ومع ذلك كان مستحيلا بالنسبة لي أن أرى قواتنا يتم تدميرها بهذا الأسلوب وكأننا نقدم للعدو هدية مجانية من أرواح ومعدات وأسلحة جيشنا.. ومع ذلك في العسكرية القرار يتحمله القائد العام وقبله القائد الأعلى وهو رئيس الجمهورية الذي يصدر الأمر السياسي لكي يتم تنفيذه عسكريا على مسؤولية وزير الحربية.. تلك هي تقاليد الجيش، تكلم في المناقشات كما تريد لكن عند التنفيذ الأمر للقائد الذي يسبقك.. لذلك فان مسؤولية الثغرة يتحملها السادات أولا ومع احمد إسماعيل. حتى خطة تطوير الهجوم اختلفت عما كنت قد أعددته وخططت له بحسابات دقيقة للغاية وبدأت انفذ الأوامر بدون اقتناع وجاء الاعتراض سريعا من قائدي الجيش الثاني والثالث عبدالمنعم الصاوي وسعد مأمون وحاولت استثمار هذا الرفض لدعم موقفي والتقيت مع احمد إسماعيل قلت له: واصل ومأمون يعتبران تنفيذ خطة تطوير الهجوم من

المستحيلات!! والفشل هو المصير المنتظر..، وطلبت احضارهما للاستماع إليهما.. وحضرا بالفعل وعقدنا اجتماعا قائد الجيش الثاني وقائد الجيش الثالث ورئيس الأركان والقائد العام وزير الحربية واستمر الاجتماع ٦ساعات كاملة وكنا ندور في دائرة مغلقة وهنا يظهر لماذا استدعى السادات احمد إسماعيل من المعاش لكي يكون وزيرا للحربية انه الولاء المطلق من العسكري للسياسي.. من إسماعيل للسادات وبدلا من أن يكون بصفته القائد العام المصدر الأول لاصدار القرارات أصبح الجهة الأولى لتنفيذ الأوامر.

ووقع المحظور وتم تنفيذ الأمر بغير اقتناع من ثلاثة قادة رئيس الأركان وقائدا الجيش الثاني والثالث ووقعت الكارثة.. وطالبت بعد ذلك بعمل لجنة تحقيق على غرار ما جرى في إسرائيل والمعروفة بلجنة (اجرانات) ونضع كل مسؤول أمام مسؤولياته ومحاكمته على ما جرى فمن الممكن أن تقع الخسائر في الحروب هذا أمر وارد لكن تقع الخسائر وأنت تعرف مقدما.. هذا هو التهاون والتخاذل بعينه.. وقد ذكر السادات في كتابه البحث عن الذات انه كلفني يوم ١٦ بتطويق الثغرة وحصر الإسرائيليين في البحيرات المرة والقضاء عليهم ولكني تخاذلت وقضيت الليل في جمع المعلومات إلى أن تمكن الإسرائيليين من الدخول حتى وقعت الثغرة فالسادات عنده قناعة بان الثغرة لم تحدث نتيجة لتطوير الهجوم ولكنها وقعت بسبب تباطؤنا.

ولو افترضنا صدق السادات لأنني لم اذهب إلى الجبهة يوم ١٦ وقال إنني عدت يوم ١٩ منهارا وأنني قمت بتضحيم الحدث وسعيت إلى إحباط الخطة التي عارضها.

وحقيقة الأمر أن الثغرة يوم ١٦ كان يمكن القضاء عليها بمنتهى السهولة.. لكن اختلف الحال تماما يوم ١٨!

خارج السياق : نجم من أكتوبر

البطل عبدالمنعم واصل بعد حصوله عى الثانوية العامة التحق بكلية التجارة جامعة القاهرة، بعد حصوله علي البكالوريوس التحق بالكلية الحربية عام١٩٤٠ وحصل علي العديد من الدورات في الاتحاد السوفيتي وبريطانيا وأمريكا، ويعد من الضباط المصريين القلائل الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية، وحرب فلسطين، و١٩٥٦ وكان وقتها قائدا لتشكيل مدرع. تدرج في العمل بالقوات المسلحة الذي استمر لأكثر من ربع قرن.

في حرب ١٩٦٧، كان عبدالمنعم واصل برتبة عميد وقاد اللواء ١٤ مدرع مساندا للواء ١١ مشاه في منطقة أم القطف وجبل لبنى بوسط سيناء ورفض الاستسلام للهزيمة وأدار معركة من أقوي المعارك وكبد القوات الإسرائيلية خسائر بلغت ٤٧ دبابة، ٦ عربات مجنزرة اعترف بها موشي ديان وغيره من قادة إسرائيل. وواصل دوره في اعادة بناء القوات المسلحة لخوض معركة النصر.

كان للفريق واصل دور كبير في صد الثغرة التي حدثت في الدفرسوار خلال معارك أكتوبر ١٩٧٣، ١٩٧٣.

في الثامن عشر من شهر فبراير ١٩٧٣ تم تكريمه ضمن الأبطال المكرمين في الجلسة التاريخية لمجلس الشعب حيث منحه الرئيس السادات أرفع الأوسمة العسكرية، ويعد من القادة العسكريين القلائل الذين منحوا وسام الجمهورية من الطبقة الأولى.

في السابع والعشرين من شهر مارس عام ١٩٧٤ تم تعيينه محافظا لسوهاج، وفي الثاني عشر من شهر ديسمبر عام ١٩٧٦ تم تعيينه محافظا للشرقية وظل حتى شهر نوفمبر ١٩٧٨.

في يوم الجمعة السابع عشر من شهر مايو عام ٢٠٠٢ انتقل إلى الدار الآخرة، وشيع في جنازة عسكرية.

obeikandl.com